فان غوخ يحلم بغدٍ أفضل

فان غوخ

عبدالإله بوبشير

فنان تشكيلي، باحث وكاتب – الجزائر

(سطح مقهى في المساء) هو عنوان لوحة من بين لوحات الفنان الهولندي (فان غوخ)، رُسمت بألوان زيتية على قماش بين 9 و 16 سبتمبر/أيلول 1888 ذات أمسية صيفية هادئة بمدينة آرل الفرنسية.

المقهى الذي مازال موجودًا ليومنا هذا، كان يحمل اسم (لا تيراس)، تم تغيير اسمه في وقت لاحق إلى مقهى (فان غوخ). فرسم هذه اللوحة ليلاً ومباشرة من زاوية رؤية جانبية، ليسمح له بأن يرى عمق المشهد بصورة جيدة ويكون قادر على إدراج الكثير من التفاصيل لإثراء لوحته. أرضية الشارع الحجرية تعكس العديد من اللمسات الزرقاء، الصفراء، الوردية والبنفسجية. السماء صافية هي ليلة نجوم فوق نهر الرون.

التباين بين الأصفر والبرتقالي على الجدران مصدره مصباح الإضاءة وأزرق السماء والواجهات هو تباين بين اللون الأساسي والمكمل، خاصة وإن فان غوخ يحب المبالغة في اللون، هذا يضفي نوع من السريالية والعبث تقريبًا على اللوحة.

إذ يقودنا هذا لعمق المشهد تسوده ظلمة يأتي مباشرة خلف الشخصيات المرسومة، خط الأفق هو منخفض نسبيًا، أما السماء فتحتل جزءًا كبيرًا من المساحة التصويرية.

المقهى في اليسار نجد الأصفر في الغالب يطغى عليه السماء ومجموعة من المارة يقعان على اليمين، حيث اللون السائد هو الأزرق. هناك تناقض بين الألوان أو ما يعرف بتضاد المساحات. فنرى انقسام اللوحة إلى عدة مناطق لونية التي تتعارض بعنف و يتباين قوي. هذا يعطي الانطباع بأن الفنان يسعى لتمثيل عالم موجود في بعد آخر أو بعبارة أخرى ما وراء الواقع ، إنه فان غوخ سيد التناقض.

أرضية ذات حجر منحوت مجرد لمسات متعددة من الألوان. إنها تعكس الضوء القادم من المقهى والسماء الزرقاء ذلك وكأنك تمشي بين الحزن والنشوة، الولادة والموت، داخل لغز محير غير واضح لنا هذه الأحجار المحاطة بالأسود تقنية سوف تستعمل لاحقًا في الفن التجريدي فنجدها في لوحة من لوحات بول كيلي، ولإضفاء حركة على العمل رسمت شخصيات بطريقة غير دقيقة فلقد اعتدنا رؤيتها في أعماله.

في الخلفية كانت النجوم عبارة عن نقاط ذهبية على سماء صافية، كما لو كانت من زهور، هذا الأسلوب في تبسيط رسم النجوم ساعد على إضفاء هيبة ومثالية للسماء، وكأنه يتضرع لخالقه، كل ذلك تحت سطوة ضوء يأتي أساسًا من مصباح الغاز في المقهى هو ليس مجرد ضوء عادي يستنير به الجالسون هناك بل نور يبحث عنه فان غوخ لدرب حياته المسود. إنها حياة خليط بين المرض والحزن والعوز أحيانًا وسعيد بأموال أخيه ثيودور التي يرسلها له أحيانًا ... أما الآن فبقيت له الألوان ليشعر بها كما لم يشعر بها من قبل فلقد كانت تضاد بين الألوان الأساسية و المكملة، تضاد حياته التي يعيشها.

المشهد في حقيقته هادئ وعادي من الحياة اليومية، ولكن في نفس الوقت هو أيضًا متغير إلى حد بعيد، هنا كما لو أن فان غوخ وصل إلى مستوى من الإدراك غير معروف. يتم تفسيره على أن الفنان بلغ ذروة النشوة العاطفية والإحساس بالمكان، حيث قال في أحد الأيام: «الوقت الوحيد الذي أحس فيه أنني حي هو عندما أرسم».

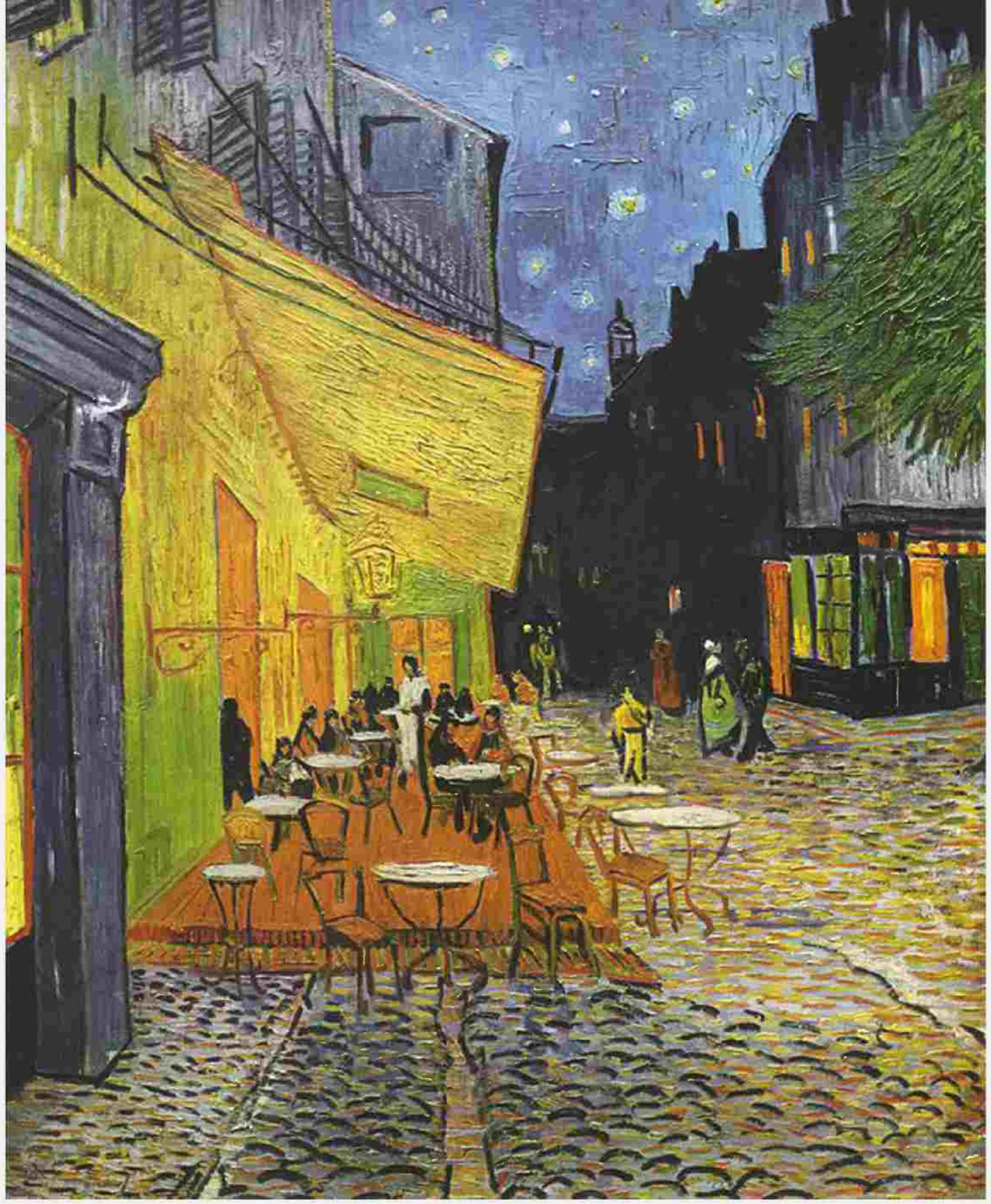

نزهة في الليل وأحمل معك الشوفالييه والألوان أو آلة التصوير وأذهب هناك لن ترى أبدًا مقهى في الطريق بهذه الألوان. إذن من أين أتت هذه الألوان؟ وهل تمثل فعلاً الفنان؟ تقودنا هذه التساؤلات إلى البحث في حياة رسام هرب من الواقع المزري الذي كان يعيشه وحالته النفسية الصعبة لقد ترجمها إلى انفعالات لونية وحركات تجعله «حيًّا» كما قال.

في النهاية فان غوخ لم يقدم لنا مقهى، أراد أن يظهر لنا، دهشة رائعة، أمل بداخله لصباح أفضل بعد هذا الليل. أنت حي في قلوب الملايين لقد رحلت فقيرًا نحيلاً مرميًا في مستشفى المجانين محتاجًا لرغيف من الخبز، ولكن تركت ورائك فنًّا لا يقدر اليوم بثمن، إنها فعلاً لمسة إنسانية نبعت من داخل قاسى الكثير، هي اليوم تُدَرس في المعاهد والجامعات.

قراءة فنية لفيلم (قلم المرايا)
نص خالد اليحيا وإخراج بدر الحمود

عوني صادق - مصر

قراءة فنية لفيلم (قلم المرايا) نص د. خالد اليحيا وإخراج بدر الحمود. وأنا أشاهد الفيلم ترددت في ذهني الآية الكريمة: ﴿ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ سورة الأنبياء آية 104)

منذ البداية يضع الفيلم منطقية على أساس مسلمتين (علميتين) يبنى عليهما التسلسل المنطقي للأحداث، المسلمة الأولى ليست كل الأكاذيب (العلمية) حقيقة، نعم .. توجد بعض الأكاذيب (العلمية) حقيقة، فقد قدم جاليليو حياته من أجل إصراره على ما اعتبر في عصره كذبة وصلت حد الهرطقة وهي حقيقة دوران الأرض حول الشمس .. المسلمة الثانية (ليست كل الحقائق حدثت بالفعل) فهناك الكثير من الحقائق في طور التشكل في رحم الغيب .....

بداية لقد خلقنا الله بقدرات مهما بلغت من تطلع وطموح للوصول إلى الحقيقة بكل جوانبها، ستظل إنجازاته محدودة مهما بلغت من آفاق، وعبر رحلته الفكرية لامس قدرًا يسيرًا من بعض الحقائق التي مع مرور الأيام فقدت جدواها بعدما استنفذت غايتها ..

فيلم (قلم المرايا) ينطلق بنا نحو المستقبل، وهل من الممكن أن يحدث ذلك ؟! من الناحية العلمية .. نعم، فقيمة الزمن وزيادة الأبعاد المكانية تطرح سؤالاً يكسر فكرة الزمن ذاتها التي توافقت مع الساعة البيولوجية في داخل كل الكائنات الحية، وصنعت إحساسنا به، والسؤال هو (هل تؤدى زيادة الأبعاد الزمكانية إلى فتح المداخل المؤدية إلى الماضي، وأيضًا إلى المستقبل؟!) علميًا نعم من الممكن أن يحدث ذلك، فالعالم الذي نعيش فيه والذي يتكون من أكثر من أربعة أبعاد زمكانية، وبدون الغوص في نظرية الوتر التي تحدد أن وحدات البناء الأساسية للكون ليست جسيمات على شكل نقاط، ولكن أوتار متذبذبة متناهية الكتلة/الطاقة، ويؤكد علماء نظرية الوتر أن الأبعاد الفضائية الكبيرة، إما إن تكون دقيقة بدرجة مذهلة بحيث لا تزال غير ملحوظة حتى الآن أو كبيرة ولكن ملتوية بدرجة لم نصل بعد إلى تكوين نظرية عنها، فالفضاء متعدد الأبعاد، مما يفترض إننا نعيش في مستقبل فضاءات أخرى والرسالة التي أرسلتها سفينة الفضاء الأمريكية إلى العالم من الصعوبة بمكان وصولها إلى كائنات فضائية تفترض تصوراتنا حتى الآن أنها لن تلحق بنا، أو نلحق بها نحن، فهي تعيش في زمن مختلف قد يكون ماضيًا بالنسبة لنا أو يسبقنا بملايين السنين، فالفضاء الذي نعيش مجرد ذرة فيه متعدد الأبعاد بدرجة تتجاوز قدرتنا حتى اللحظة بملايين السنوات الضوئية على احتواء قدر يسير من إمكاناته، يقول بايس هايزنبرتش من جامعة هاواى: «إذ كان الأمر كذلك فمن اليسير وجود طرق مختصرة عبر الفضاء متعدد الأبعاد، وهذه الطرق المختصرة هي ما تجعل السفر عبر الزمن ممكناً، (إلى الأمام وإلى الخلف) فالكون المفترض أنه جزيرة ذات أربعة أبعاد، ويطلق عليه البران يتجول في الفضاء من عشرة أبعاد، هذا الكون ينحني نحو الخلف على نفسه في بعد أضافي ضخم» ..... يأتي فيلم (قلم المرايا) ليؤكد فكرة السفر عبر الزمن، بهدف البحث عن قيمة الماضي والإمساك بإنجازاته الإبداعية والحضارية، وعلى رأسها القلم والكتاب، وعبر دوائر سحرية يربط الواقع بالخيال في دوائر سحرية تغمرها تفاصيل من علم البروج والتنجيم والفلك، ويغوص بنا في المستقبل بعد 40 سنة من طباعة آخر كتاب ورقي، كتب د. خالد اليحيا نصًا فيه متانة حرفية عالية معتمدًا على قصة بسيطة، هي في الأساس نظرية افتراضية، بوجود قلم شارك في كل الإبداعات الإنسانية، وكانت مهمة السيناريو الذي صنع (اليحيا) حبكته بحذق يحسد عليه، هي البحث عن هذا القلم، الذي يحتوي على طاقة سحرية، وقد حافظ المخرج بدر الحمود على إيقاع الأحداث معتمدًا على إطار هوليوودى متضمنًا في المتن بعض التفاصيل الصغيرة التي يؤكد من خلالها إسهامات الحضارة الإسلامية العربية في الحضارة العالمية، وقد اعتمد على جذور علم الفلك والتنجيم من منكب الجوزاء والشعرى اليمانية، ذات الصلة المباشرة بنماذج فكرية لها انتماءها واعتبارها في الحضارة الغربية، وهذه التوقعات العلمية التي يتناولها الفيلم، من أن الكتاب سيكون آثرًا بعد عين، وسيكون حنين الأجيال القادمة إلى الكتاب والقلم، الفيلم ضمن حبكته الدرامية في البحث عن قلم المرايا وربطه بقدرته على الإبداع الذي شكل تراثًا إنسانيًا، كما ذكرت، ولكن برغم حنيننا إلى الكتاب الورقي والقلم فسوف تأتى الأجيال القادمة بإبداعها الخاص الذي يعبر عن قيمها الفنية التي ترتبط بأحلامها وصبواتها وطموحاتها .. وإلى فيلم ممتع يفجر فينا قيما وأفكارًا جديدة. بقيت ملاحظة جانبية لا بد أن أشير لها وهي اعتماد البطل (الذي يمثل الأنا) على بروفيسور أمريكي (يمثل التشكيل الحضاري الغربي) لمساعدته في الوصول إلى سر قلم المرايا وقد اعتبر أنا ذلك مغازلة للآخر، وكان من الممكن الاستعاضة بحكيم عربي.

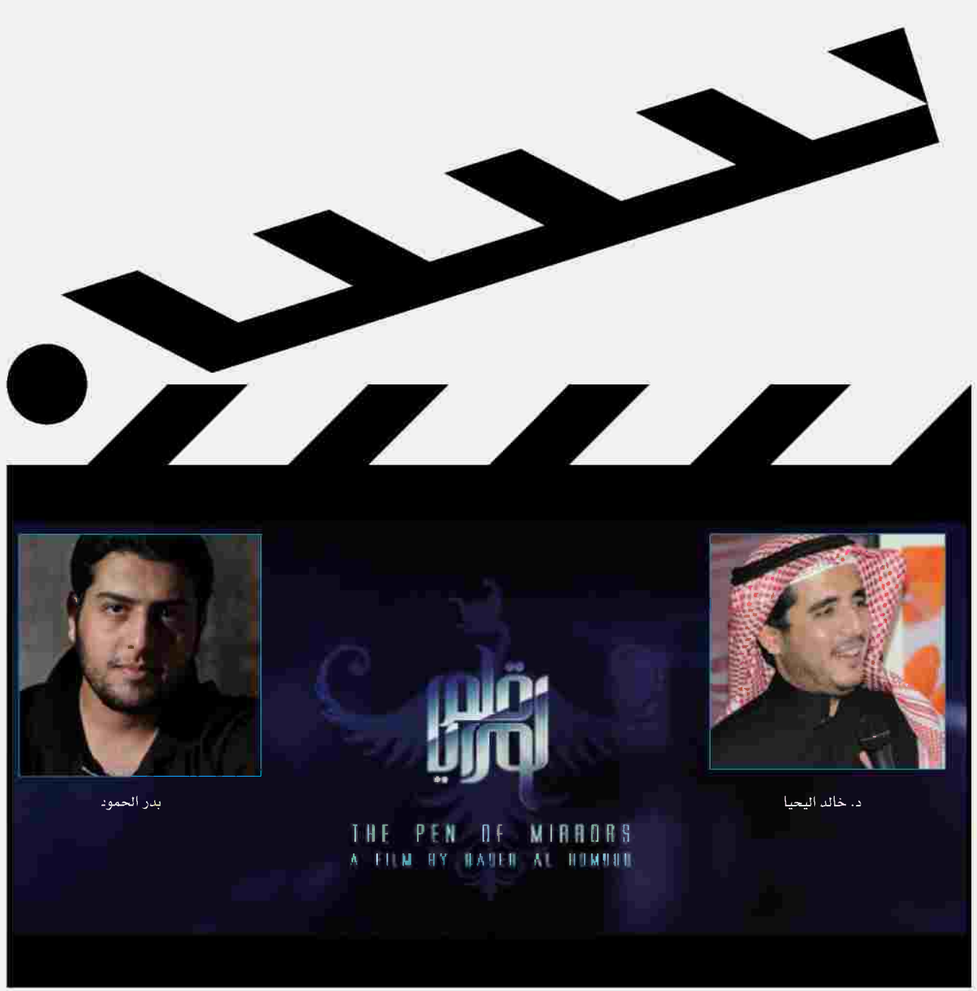

د. خالد اليحيا

بدر الحمود

«فيلم قلم المرايا يؤكد فكرة السفر عبر الزمن، بهدف البحث عن قيمة الماضي والإمساك بإنجازاته الإبداعية والحضارية، وعلى رأسها القلم والكتاب»

لمشاهدة فيلم قلم المرايا
اضغط هنا